المصدر: روزاليوسف
التاريخ : ١٩٩٦/٢/١٩

د. **محمود جامع** الرجل الغامض فى كواليس السادات يفتح خزانة أسراره :

سجل الاعترافات : **كرم جبر**

الحرب الباردة بين هيكل والسادات

السادات استراح لنظرية «هيكل نعم .. هيكلية لا»

هيكل ضخم ١٥ مايو وأقنع السادات بأنها انقلاب

موسى صبرى ومصطفى أمين عطلا كل محاولات الصلح

حكاية الطبيب الذى طلب ٥٠ ألف دولار ..

من سفير إسرائيل لعرفات

بعد خروجه من السجن عقب الإفراج عن المعتقلين فى احداث سبتمبر ٨١ .. ذهب محمد حسنين هيكل إلى السيدة جيهان فى منزلها بالجيزة لتعزيتها فى وفاة الرئيس . شدت على يده وقالت « وصيتى الا تهاجم الريس انور » .. ووعدها .

لم ينتظر طويلاً . واصدر كتاب « خريف الغضب » الذى « شرح » فيه السادات . لم يكن منصفاً ولا محايداً .. ولم يفكر فى شىء سوى « تاره البايت » مع السادات .

ورغم ذكائه الحاد .. فلم يُدرك هيكل ابداً انه كان من المستحيل ان يكون رجل السادات .. فلكل رئيس رجال .. وهيكل كان رجل عبدالناصر القوى .. والسادات عاش ومات خائفاً من شبح عبدالناصر ورجاله الاقوياء .

وكانت العلاقة بينهما « هيكل والسادات » اشبه بالحرب الباردة التى تدور فى الخفاء

> اعترف اننا حاولنا نحن المجموعة التى ساندت السادات فى ١٤ مايو ان نكون رجال الرئيس السادات .. ولكن السادات كان ينظر إلينا دائماً « كشلة » .. ويبدو ان « الشلة » التى كانت حول عبدالناصر اذاقته الكثير من الهوان . فاصبحت هوايته المفضلة هى تصفية اية شلة سواء كانت معه او ضده .
>
> وتصور هيكل انه لمجرد انه كان ضد على صبرى وشعراوى جمعة وسامى شرف والفريق فوزى . وانه ذهب للسادات فى منزله يوم ١٤ مايو . ونصحه بان يطلق على هذه المجموعة لفظ « مراكز القوى » . وان يقول للشعب انهم ضد الديمقراطية . ومع استمرار السجون والمعتقلات .
>
> تصور ان ذلك سيفتح له قلب السادات . ولكنه كان بحق مثل سائق

السيارة الذي يعطى إشارة يميناً ويدخل شمالاً .. وهذا مافعله مع هيكل .. وبقية المجموعة التى وقفت بجانبه .

وحينما جاء السادات للحكم كان هيكل يشغل منصب وزير الإعلام ورئيس تحرير الأهرام .. شغل منصبه الوزارى فى ربيع عام ٧٠ ، عندما اجرى عبدالناصر تعديلاً وزارياً محدوداً ، وعين هيكل وسامي شرف وزيرين .. وكان السادات نائباً ، وكان يردد دائماً انه فوجيء بهذا التعديل ولم يبلغه به عبدالناصر .

ومن يفهم نفسية السادات التى تعشق الإعلام ، يفهم تماماً ان روح السادات كانت فى يد هيكل اكثر من مراكز القوى .. فهو الذى ذهب للسادات عقب وفاة عبدالناصر وطلب منه ان يشرف على تنظيم الدعاية لانتخابات الرئاسة ، ولكن بعض خصوم هيكل ابلغوا السادات انه عقد « صفقة » مماثلة مع شعراوى جمعة وسامى شرف على تصعيد احد رجال عبدالناصر لعرش مصر .. وصدق السادات ذلك ، واقتنع ان هيكل انحاز إليه بعد ان حسم معركته مع مراكز القوى .. وكان من الممكن ان ينحاز لجبهة سامى ـ شعراوى لو حسموا الصراع لصالحهم .. وتاكدت ظنون السادات بعد ان اصر هيكل على الاستقالة من منصبه الوزارى فى اول وزارة بعد موت عبدالناصر شكلها الدكتور محمود فوزى .

ورغم ذلك فلم يكن فى وسع السادات إلا ان يتظاهر بحب هيكل او يقربه منه ، انتظاراً لفرصة التخلص منه .

ارسل إليه ابنته نهى فى ١٥ مايو لان منزل هيكل قريب جداً من منزل السادات فى الجيزة ، وحضر هيكل لمنزله ... وكان السادات يقول ان هيكل هو الذى ابلغه ان مراكز القوى حاصروا مبنى الإذاعة وخططوا لاعتقاله إذا حاول دخول الإذاعة لإلقاء بيان الشعب .. وابلغ هيكل هذه المعلومات لفوزى عبدالحافظ سكرتير السادات ، الذى نقلها بدوره للرئيس ، واكمل هيكل بعد ذلك عملية الإجهاز على مجموعة شعراوى .. فقد كان يعلم جيداً انهم لو وصلوا للحكم سيطيحون به .. وضخم العملية فى راس السادات وصورها على انها انقلاب .

ولم يدم شهر العسل طويلاً ، استفاد السادات من هيكل لاقصى درجة .. وبدا يبعده عنه بشكل مفاجيء ، ولا يستشيره فى شيء ... وفى لحظة تجلى حاولت ان اعرف موقف السادات من هيكل بالضبط فقلت له : « انا مبسوط جداً انك تستشير هيكل فى كل شيء » !!

فجاة انفجر السادات غاضباً : « هو هيكل ده إيه .. فاكرنى عبدالناصر .. دا صحفى زى كل الصحفيين » .. واوضح لاول مرة ان الاقرب إلى قلبه هو انيس منصور ، وبدا يقربه منه ويدلى له بكل شيء ويستشيره وياخذ رايه .. وتجاوب انيس مع السادات فى كل المواقف الشائكة خصوصاً عملية السلام مع إسرائيل ، وتحمل هجوماً ضارياً فى الداخل والخارج .

واتضحت نية السادات فى تقليص دور هيكل فى كثير من الامور المهمة مثل قضية تصفية الحراسات ، ولم يشترك فى صنعها ، وإنما تولى هذه العملية الدكتور جمال العطيفى .. وقرار طرد الخبراء الروس ومبادرة التسوية مع إسرائيل قبل حرب اكتوبر .. وتصفية العزل السياسى .. وكلها قضايا كان هيكل يلعب فيها دور البطل والمحرك ايام عبدالناصر .. ولكن السادات فاجاه بتلك الاخبار بعد ان كان هو مصدر الاخبار .

فقد كلفنى السادات بمتابعة موضوع العزل السياسى . بعد ان انشا لجنة فى الاتحاد الاشتراكى اسماها لجنة المائة .. واختارنى فى لجنة الضمانات القانونية مع الدكتورة عائشة راتب ومحمد حامد محمود ونبيل الهلالى المحامى .

تلقيت التظلمات ، وفوجئت بالدكتور محمود القاضى يدخل علىّ المكتب ويبلغنى انه معزول سياسياً ، وكان يعمل استاذاً بكلية الهندسة جامعة الإسكندرية ، ولا يعرف اسباب عزله ، طلبت ملفه من امانة شئون التنظيم بالاتحاد الاشتراكى ففوجئت بتقريرين .. تقرير لجهة امنية يقول انه شيوعى خطير ، وتقرير لجهة امنية اخرى يؤكد انه إخوانى خطير ، واوصى كل تقرير بعزله سياسياً .. ولما سالته : « انت شيوعى ام إخوانى » ؟! ضحك بشدة ، وتقرر رفع العزل عنه .

وفوجئت ايضاً بفايز حلاوة ومحله اسمه عباس المصرى من الدرب الاحمر وعلوى حافظ ومحمد ابوالفضل الجيزاوى ... واحضرت ملفات هؤلاء جميعاً ، وارسلت « تلكس » لجميع الامانات فى المحافظات برفع العزل عنهم .. وقامت الدنيا ولم تقعد .. وذهب محمد عبدالسلام الزيات للدكتور عزيز صدقى ، وقال له . « محمود جامع حيقلب الدنيا » .. وعندما سالنى السادات : « ماذا فعلت » ؟! قلت له : « لقد قمت برفع العزل باسمك وقلت ان الرئيس السادات هو الذى قال ذلك » .. فقال : « برافو » .

وبعد حرب اكتوبر زادت الامور تعقيداً بين هيكل والسادات ... واحس هيكل انه لم يعد فى دائرة الرئيس ، واوصل السادات علاقتهما إلى مايشبه القطيعة الكاملة .. توقفت الاتصالات التليفونية ، وفى المرات التى كان هيكل يطلب فيها مقابلة السادات من سكرتيره فوزى عبدالحافظ لم يكن يتلقى رداً .

وكان السادات يردد دائما تعبيراً قاله له احد مستشاريه ، وهو الدكتور على السمان : « هيكل نعم ... ولكن هيكلية لا » .

وحدثت القطيعة الكبرى بعد الثغرة ، عندما كتب هيكل مقالات يشير فيها ان الوضع فى الجبهتين المصرية والسورية اصبح متماثلاً ، وكانت القوات الإسرائيلية قد وصلت إلى القنيطرة ومنطقة شعشع بجوار دمشق .. فجن جنون السادات الذى كان يردد ليل نهار بانها عملية تليفزيونية .. واستدعى هيكل الذى ابلغه ان حسين الشافعى هو الذى يردد ان الثغرة تحولت من « جيب » إلى « كرش » .

وبعد فض الاشتباك اتخذ السادات قراره بعزل هيكل من الاهرام ، ونفذه ـ كعادته ـ بشكل درامى ، حيث لم يخطر هيكل به ، وعينه فى منصب وهمى هو المستشار الصحفى للرئيس ، الذى رفضه هيكل بالطبع .

وكانت اخر وقيعة قبل عزله اثناء احد الاجتماعات بين السادات وكيسنجر .. فقد نقلوا للسادات ان هيكل سال ، من معهما فى الاجتماع » .. فرد عليه محمود رياض بان الاجتماع مقصور عليهما ، فضرب هيكل بقبضة يده على المائدة : « انا قلت الرئيس ميقعدش لوحده » .. وعندما نقل اشرف مروان هذه الواقعة للسادات غضب بشدة قائلاً : « انا اقعد لوحدى زى ماانا عاوز ، لازم هيكل يعرف ان عهد التلقين انتهى » .

وخرج هيكل من الاهرام ، وشن عليه السادات هجوماً عنيفاً ، ووصفه بصفات كثيرة اهمها انه كان مركز قوة ، وهى نفس الجملة التى نصح هيكل السادات بإطلاقها على مجموعة ١٥ مايو .

واشتعلت الحرب الباردة إلى أن جاءت قرارات سبتمبر ١٩٨١ ، وكان

هيكل فى صدارة قوائم المعتقلين .. وهذه القرارات كانت بالفعل الضربة التى فتحت طريق المنصة أمام السادات .

كانت قرارات غريبة وشاذة ، فقد كان من بين المعتقلين طبيب اسنان شهير اسمه الدكتور كمال الإبراشى .. حدث ان زاره السفير الإسرائيلى الاسبق فى القاهرة ، نتنياهو بن اليسار لعلاج اسنانه ، وعندما ساله عن تكلفة العلاج قال له الإبراشى : « ٥٠ الف دولار » ، وطلب منه كتابة الشيك باسم السيد ياسر عرفات رئيس منظمة التحرير الفلسطينية .. وعندما علم السادات بالواقعة جن جنونه .. وظل يختزنها فى عقله إلى ان جاءت قرارات سبتمبر فاضاف اسم الإبراشى إلى المعتقلين .

□□

وحقيقة الأمر لا يمكن ان ننكر الدور الذى لعبه موسى صبرى فى الوقيعة بين هيكل والسادات .. فقد كان موسى يتطلع لان يحتل عند السادات نفس المكانة التى احتلها هيكل عند عبدالناصر ... ونجح فى ذلك بالفعل .

فعندما فكر السادات فى الاستعانة بهيكل فى منصب وزير الإعلام بعد فترة هدوء بينهما ، علم موسى صبرى بذلك عن طريق مصطفى امين الذى كان قد افرج عنه ، وعاد لممارسة عمله .. ظل مصطفى امين وموسى صبرى يدسان لهيكل عند السادات ، وكان السادات

مصرا على عودة هيكل حتى يضرب « الشلة » الجديدة ، او ماكان يسميه مراكز القوى ، خصوصاً بعد ان استشرى نفوذ مصطفى وعلى امين .. ونجحت ضغوط موسى صبرى ومصطفى امين فى عدول السادات عن فكرته ، وتردد ان هيكل رفض فى ذلك الوقت المنصب الوزارى ، وعرض على السادات ان يعود للاهرام ، ولكن السادات رفض بشدة وعرض عليه الجمهورية او اكتوبر .. وتشبث هيكل بالاهرام .

وموسى لم يكن يكره هيكل فقط ، لكنه خطط اكثر من مرة للإطاحة بإبراهيم سعدة رئيس تحرير الأخبار ، كان لا يحبه ، لان سعدة كان يكتب احاديث السادات التى تنشر فى مايو ، وطلب منه موسى امامى ان ينقله نهائياً إلى مايو ، وان يترك له اخبار اليوم ، ولكن السادات رفض بشدة .. لانه كان يحب إبراهيم من ناحية ، وكان يخشى ان يتحول موسى إلى هيكل جديد .. والسادات هو الذى اختار سعدة رئيساً لتحرير اخبار اليوم دون علم موسى .

ولعب موسى دوراً مهماً فى إقناع السادات بالإفراج عن مصطفى امين .. وكان السادات يرفض ذلك ويشكك فى نوايا مصطفى ، ويقول انه حاقد على الثورة ، وكانت له علاقات مريبة بالملك والقصر قبل الثورة .. ولكن موسى نجح فى تكوين جبهة ضغط على السادات ، مكونة من محمود ابو وافية وجيهان السادات .. الحوا على السادات عشرات المرات للإفراج عن مصطفى امين .. ولكن السادات كان متردداً .

والمعروف ان الصحافة لم تشهد عدوين لدودين بهذا الحجم من العداء مثل هيكل ومصطفى امين .. وللحقيقة القول ان السادات اراد ان يستعين بهما معاً حتى يضربهما فى بعض ، ويظل هو الملك .. فقد كانت فلسفته تقوم على الاستعانة بالخصوم فى مكان واحد - غير ان هيكل هو الذى ركب راسه واصر على العودة إلى الاهرام .. وعانده السادات ايضاً ، فقد كان مستعداً لمنحه اى منصب إلا الاهرام .

اما موسى ومصطفى امين فكانت مهمتهماهى تضخيم كل مايكتبه هيكل فى الخارج ، وإقناع السادات بانه هجوم شخصى عليه .. والمشكلة ان السادات لم يكن يقرا ، وكان يتخذ قراراته بشكل

انفعالى بناء على معلومات سماعية .. وكانت تلك هى الثغرة التى نفذ منها اعداء هيكل إلى السادات لتحطيم هيكل .

واتذكر ان السادات ذكر فى جلسة مصغرة انه يحتاج هيكل فى الفترة القادمة ، وكان يقصد بذلك السلام مع إسرائيل ... وبرر ذلك بقوله ان هيكل له علاقات عربية ودولية وصلات باجهزة الإعلام ستسهل له كثيراً مايفكر فيه .. وبدا بالفعل فى التفكير فى إعادة هيكل بشكل مقبول ليكون رجل مرحلة السلام .. ورجع عن كلامه الذى كان يردده دائماً بان هيكل مجرد صحفى عادى ، وكان على استعداد ان يمنح هيكل اى شىء بعد ان ازداد الهجوم عليه من الدول العربية .

إلا ان الظروف لم تكن مواتية لتلك المصالحة التاريخية .. فقد اصدر هيكل فى ذلك الوقت كتاب « الطريق إلى رمضان » واحدث ضجة هائلة فى العالم .. واؤكد ان السادات لم يقرأ الكتاب ، وإنما بنى موقفه من هيكل بناء على التقييم الذى نقله له موسى صبرى .. قال له موسى ان هيكل يقول ان حرب اكتوبر كانت ناقصة ولم يكن فى إمكان السادات ان يحرر سيناء .. وان قرار طرد الخبراء السوفييت كان بالاتفاق بين السادات والامريكان عن طريق السعودية .. وجن جنون السادات وغضب بشدة من هيكل .

ولم تكن تلك الازمة سحابة صيف جديدة بين السادات وهيكل ، وإنما كانت قطيعة .. لم تنجح اية محاولات فى إزالة اثارها .. وكانت ازمة من صناعة موسى صبرى .

ومصطفى امين لعب هو الآخر دوراً مهماً فى تعطيل كل محاولات المصالحة بين هيكل والسادات .. كان يكره هيكل بشدة ويحقد عليه ، ويدس له فى العلن والخفاء .. ولم ينس ابدا ثاره التاريخى مع هيكل ولا اعتقد انه سينساه .

فهيكل هو الذى جاء رئيساً لمؤسسة اخبار اليوم فى منتصف الستينيات .. وكان مصطفى يردد دائماً انه هو الذى دبر له قضية التجسس الشهيرة للتخلص منه بالاتفاق مع صلاح نصر .. وانه هو الذى اقنع عبدالناصر بان مصطفى امين جاسوس .

والسادات لم يكن فى نيته الإفراج عنه ، ولكنهم ضغطوا عليه ، بعد حملة الإفراج عن الإخوان المسلمين والسياسيين والمعتقلين وإلغاء العزل السياسى ، وكان قرار الإفراج عن مصطفى امين صحياً ولم تسقط عنه التهمة ، لان السادات اراد ان يمسك على مصطفى « ذلة » يضغط بها عليه ، ولما ساءت العلاقات بينهما صرف السادات النظر عن مسالة إسقاط الاتهام ، وخصوصاً ان مصطفى فتح ملفات السجون والتعذيب فى عهد عبدالناصر ، وحذره السادات اكثر من مرة ليتخلص من هذه العقدة ، وان يكبح غريزة الانتقام .. ولكن مصطفى امين قرر ان يمضى فى الحرب لآخرها ، فلم يكن امام السادات سوى ان يضحى به .

□□

وتكرر نفس السيناريو ، مع اختلاف جمل الحوار مع الليثى ناصف قائد الحرس الجمهورى ، واحد نجوم ١٥ مايو الذين حسموا الموقف لصالح السادات .

قرر السادات ان يتخلص منه لانه دخل عليه مكتبه بدون « باريه » و« قايش » .. فقال له السادات بغضب : « انتباه .. اطلع بره » .. فنظر الليثى خلفه ليرى الشخص الذى اغضب السادات ، فقال له : « انت بالليثى نسيت نفسك ولا إيه » .

وكان الليثى قبل ذلك قد قام ببعض التصرفات التى اغضبت السادات .. مثل واقعة استيلائه على إحدى شقق الحراسات فى عمارة ليبون بالزمالك .

كان السادات قد خصص تلك الشقة لإقامة الدكتور احمد السيد درويش وزير الصحة فى ذلك الوقت لانه كان يسكن شقة صغيرة فى الدور الخامس فى جاردن سيتى ، وكان مصاباً بالشلل ، وزاره السادات فى منزله ، وطلب البحث عن شقة مناسبة له ، وكانت شقة عمارة ليبون تابعة لبيت المال .

وبعد الانتهاء من إجراءات انتقال ملكية الشقة فوجئنا بالليثى ناصف يحضر قوات الحرس الجمهورى ويستولى عليها ، ونقل إليها عفش بيته ، واتصل بى الدكتور درويش وطلب ان ابلغ السادات بذلك .

وتصادف اننا كنا نحضر اجتماعاً للمؤتمر القومى العام فى جامعة القاهرة .. وتحدثت مع الليثى فى موضوع الشقة امام محمد عثمان إسماعيل وكمال ابوالمجد .. فقال بصوت عال ، شقة إيه ياخويا .. انا اخد اى شقة تعجبنى ، دى البلد كلها بتاعتى .. هو انا عملت شوية ، .

ولما قلت له انها شقة الدكتور درويش وهو رجل مريض ، رد ، ، دى لما تكون شقة السادات حاخدها ، ، وردد ذلك امام الوزراء وكبار المسئولين .. الذين نقلوا الواقعة للسادات .. ولم يعلق ولكنه اصدر قراراً بتعيينه سفيراً ، ورفض الليثى المنصب وذهب إلى لندن للعلاج ومات هناك بعد ان سقط من شرفة شقته

كرم جبر